Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(8), June 2018

Article History		
Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
20 /5/2018	5 /6/2018	10 /6/2018

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية

دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

العراق / وزارة التربية

الملخص

تعد موضوعة البانتو من الموضوعات ذات الأهمية البالغة لما تشكله تلك القبائل من ثقل كبير من بين مجتمعات جنوب أفريقيا ، وامتيازها بالتنظيم الجيد واستمدوا قوتهم من طبيعة استقرارهم الاقتصادي لجمعهم ما بين حرفتي الزراعة والرعي ، وايمانهم بالعمل الجماعي ، فضلا عن استخدامهم للأدوات الحديدية للدفاع والغزو والاستحواذ على الاراضي ، مما جعلهم يخوضون حروبا وصراعات دامت قرنا من الزمان مع الأوربيين 1779- 1877 طلبا للهوية الوطنية .

الكلمات المفتاحية : قبائل– البانتو – جنوب افريقيا – موقفهم – القوى الاستعمارية – اثبات الهوية

Bantu tribes (South Africa) and their position in the face of colonial powers study in the realization Presence and proof of identity 1877 – 1779

Abstract

The Bantu theme is of great importance as these tribes form a great weight among the South African societies , They are characterized by good organization, And have derived their strength from the nature of their economic stability , to bring them together between agriculture and grazing , and their belief in collective action as well as their use of iron tools for defense, The land, which led them to fight wars and conflicts for centuries with the Europeans 1779 – 1877 for freedom , and the establishment of national identity .

Keywords: Bantu tribes - South Africa - position - colonial powers - proof of identity .

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

المقدمة :

تعد موضوعة البانتو من الموضوعات الجديرة البالغة لما تشكله تلك القبائل من ثقل كبير من بين مجتمعات جنوب افريقيا ، اذ امتازت تلك القبائل بالتنظيم الجيد مستمدة قوتها من طبيعة استقرارها الاقتصادي ، لامتهانها حرفتي الزراعة والرعي ، وايمانها بالعمل الجماعي ، فضلا عن استخدامها للأدوات الحديدية للدفاع والغزو والاستحواذ على الاراضي ، وامتلاك رجالها لبنية جسمانية طويلة وقوية قياسا بأقرانهم من المجتمعات الافريقية الاخرى ، مكنهم ذلك من خوض حروبا شرسة مع اعداءهم الاوربيين دامت قرنا من الزمان وتحديدا من 1779 – 1877 ، وهو مجال بحثنا واختيارنا للمدة الزمنية .

ظل كشف جنوب افريقيا غامضا لدى البحارة المغامرين الاوربيين الذين ركبوا البحر حتى عام 1486 عندما كُشفت من قبل (بارثيلميو دياز) احد البحارة البرتغاليين في اوآخر القرن الخامس عشر اثناء محاولاتهِ المتكررة للوصولِ الى الهند هدفاً اساسياً من تلك المحاولات ، وكررت الدول الاوربية المحاولة للهدف ذاته[1]. ففي الوقت الذي انحسرت فيه قوة البرتغال البحرية ، اظهرت هولندا قوتها وركبت البحار واسست على اثر ذلك عام 1602 (شركة الهند الشرقية الهولندية) للتواصل بين مستعمراتها في الشرق ، حتى تم لها بناء اول محطة بحرية في اقصى الجنوب الافريقي على خليج تبلي في اقصى الجنوب الافريقي ، لتقديم الماء والغذاء الطازج للسفن الهولندية لتتوسط الطريق من والى مستعمراتها في الشرق عرفت (راس الرجاء الصالح Cape of Hoop Good) الكاب[2].

استهدفت هذه الدراسة التعرف على قبائل البانتو التي شكلت غالبية القبائل في جنوب افريقيا من حيث عاداتها وتقاليدها الاجتماعية والاقتصادية وتنظيماتها العسكرية وعلاقاتها مع الاوربيين المتمثل بالاستعمار الهولندي حيث عد نفسه المكون الاصلي لسكان إفريقيا ، بل اكثر اصالة من الافريقيين انفسهم . بينما شكل احتلال البريطانيين للمستعمرة على اثر الصراع في اوروبا وانعكاس ذلك على مستعمراتها في افريقيا ، بعد عام 1806 عبئا اكبر للسكان المحليين[3] ، فقد حاول الاستعمار التستر على اسباب الصراع بين الجانبين ، لتبدأ النواة الاولى لسياسة التمييز العنصري في افريقيا ، وليمتد صراع طويل عبر سلسلة الحروب تبادل بها الطرفان الانتصار والهزيمة اطلق المختصون بالشأن الافريقي تسمية (حروب الكافيرز Wares kaffirs) [4] .

---

[1] Vasco Da Gama and his Successors, Kingsley Gay land, London Methuen Press,(California,1910) , p. 87 Heroes of Discovery in South Africa, N . Bell, (London,1899) , P. 11-12; Portuguese Africa , James Duffy,(London,1959),P.132 .,

[2] – شركة الهند الشرقية الهولندية التي اسست عام 1602 بتمويل المركز المصرفي في امستردام ايذانا وهي مستعمرة انشأتها بدخولها ميدان التنافس التجاري الدولي ، وشهدت الشركة حادثة مهمة حين اغرقت الرياح احدى سفن الشركة اثناء عودتها الى هولندا قادمة من احدى مستعمراتها في الشرق بالقرب من جزيرة الكاب لتتحول بعد ذلك الى محطة استراحة ، ومن ثم الى مستعمرة هولندية لتامين الخدمات الصحية والغذائية لسفن الشركة لتشكل وصولها بداية الوجود الاوربي في جنوب افريقيا . للمزيد عن ذلك ينظر : An Introduction to the History South Africa, (London, 1941),P.42; Worsfold Basil Williams, South Africa A study in Colonial Administration and Development, Sarah Gertrude Milling , (New york , 1895) , pp. 7-8.

[3] Select Constitutional Documents I Illustrating South African History 1795 – 1910 , Eybers , G.W., (ed) , London Press , (London , 1918) , Cession of the Cap to Great Britain, August 13, 1814, Doc. No 16, p. 19.

[4] وهم طلائع البانتو ، عرفوا محاربين اشداء خاضوا حروبا ضارية ضد الاوربيون عرفت بحروب الكافيرز او (الكافر) ، وتعني بالعربي غير المومن ، وهي تسمية اطلقها المسلمون والمسيحيين على الافريقيين من قبائل البانتو . للمزيد ينظر :

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

اولا : اهمية الدراسة

شكلت قبائل البانتو اهمية كبيرة وثقل كبيرين في مجتمعات جنوب افريقيا ، اذ استمدت تلك القبائل قوتها من طبيعة استقرارهم الاقتصادي لجمعهم ما بين حرفتي الزراعة والرعي وايمانهم بالعمل الجماعي، فضلا عن ذلك استخدامهم للأسلحة في الغزو والاستحواذ على الاراضي ، وامتلاكهم للقوة وتركيبتهم الجسدية قياسا بأقرانهم من الاجناس الاخرى ، مما جعلهم يخوضون حروبا وصراعات دامت قرنا من الزمان مع الاوربيين وتحديدا من 1779– 1877 طلبا للحرية واثباتا للهوية الوطنية وهو مجال بحثنا.

ثانيا : اشكالية الدراسة

لا شك في أن هجرة قبائل البانتو من الشمال والشمال الشرقي للقارة بعد عبورهم نهر الزمبيزي منذ القرن السابع عشر بسبب قلة الامطار والجفاف الذي حل بهم في مناطق تواجدهم السابق مما دفع بهم للهجرة نحو مناطق اكثر خصوبة في الجنوب الشرقي من مستعمرة الكاب ، فضلا عن الزيادة المطردة في اعداد سكان قبائل البانتو وحاجتهم الماسة لأراضي زراعية ومزارع تتلاءم مع الزيادة المطردة لهذه القبائل، وفي الوقت نفسه تزايد حاجة سكان مستعمرة (الكاب) من اللحوم الطازجة لسد النقص الحاصل من تلك اللحوم ، وكذلك استمرار نزوح (البوير) الهولنديين خارج حدود مستعمرة (الكاب) لتوسيع رقعة الاراضي الزراعية وايجاد مناطق رعي جيدة لماشيتهم ، فضلا عن الاختلاف الأيدولوجي للجنسين في الطباع والمشارب رغم تمتع الطرفين بالصفات نفسها من الناحية الاقتصادية من رعي الحيوانات والزراعة ، فكل طرف يحاول التوسع على حساب الاخر.

ثالثا : فرضية الدراسة

وضع الباحث فرضية عرض الاسئلة وكالاتي :-

- هل نجحت قبائل البانتو في المحافظة على الاراضي التي استولت عليها نتيجة الحروب التسعة التي خاضتها ؟
- ماهي الاجراءات التي اتخذتها الادارة البريطانية في مستعمرة الكاب للحد من زحف البانتو على الحدود المرسومة ؟
- هل نجحت في ذلك ، وهل انعكست تلك الحروب سلبا على حياة تلك القبائل ؟

المبحث الاول : الجذور التاريخية والاجتماعية لقبائل البانتو :

استقر(الاكسهوزا Xhosa)[1] حول نهر (Umzimvubu) ، في حين عبرت فيما بعد (نهر الكي Kei) في مجاميع صيد شرقا الى ما وراء (نهر الفش Fish river) ، وهناك حصل اتصال بين الاوربيين والسكان المحليين بعملية المقايضة للمواشي وهو ما حذرت منه ادارة شركة الهند الشرقية الهولندية من عدم الاتصال بين الجانبين الا في اوقات محددة من السنة . وعلى اثر موت (باولو Pale) الزعيم

تاريخ جنوب افريقيا ، جديون ، س . وير ، ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ ، (الرياض ، 1986) ، ص 71 .

(1) الكوسا او الهوسا او الخوسيون كما يطلق عليهم من تسميات ، فهم طلائع البانتو ، عرفوا محاربون اشداء ، سكنوا المناطق الشمالية لجنوب افريقيا الى الغرب من نهر الـ (ساندي)، فضلا عن امتهانهم حرفتي الزراعة والصيد ورعي الماشية ، وقد خاضوا حروبا ضد الاوربيين استمرت لقرون عدة :

The House of Phalo , A History of the Xhosa People in the day their Independence , New history of South Africa Series , Piers Jeffry , (Raven, 2003) , pp. 130 – 140 .

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

الاكبر لقبائل الاكسهوزا القاطنة في جبال (الاماتولا) ، وكان الاخير قد وجه رجاله نحو الاراضي الواقعة بين نهري الفش والكي لتنقسم الى مجموعتين ، قطنت الاولى شرق نهر الكي بزعامة (كاليكا) الابن الاكبر للزعيم المتوفي اما المجموعة الثانية فأنها استقرت بين النهرين الاخيرين حيث تبعت (را رابي) الابن الاخر للزعيم الراحل[1] .

اختلفت الصورة الاجتماعية عند قبائل البانتو ، سيما داخل القبيلة نفسها ، فمنها رئيسة وشائعة لكل افراد القبيلة . اما بالنسبة للبانتو فأن النظام القبلي من حيث القيم والعادات اكثر تقدما من باقي القبائل سواء البو شمن او الهوتنتوس ، اما نظام العقوبات والتصديق الديني والاثني فهو قوي جدا . فيترأس كل قبيلة زعيم اعلى لديه سلطات وصلاحيات تنفيذية هائلة ، اذ يحظى بالتعظيم والاحترام للأصول الملكية وتحت سيطرته بعض الزعماء الثانويين الاقل اهمية للقيام بالمهام التي توكل اليهم ، وغالبا ما يكونوا من اقارب الزعيم نفسه [2] .

كان تعدد الزوجات من الامور المسلم بها عند زعماء البانتو ، حيث اطلقت عليهم عدة تسميات ، فمثلا يطلق على الزوجة الاولى بزوجة اليد اليمنى ، بينما يطلق على الزوجة الثانية باليد اليسرى . وهناك تسميات ومصطلحات عديدة تطلق على زوجات اخريات يتزوجها الزعيم قد تكون لأسباب سياسية لتولي الزعامة وغيرها ، او ان تكون والدة ورثة العرش من بعده وتسمى بـ (الزوجة العظيمة) ، اذ غالبا يكون ذلك الزواج متأخرا بعض الشيء ، فان هناك فرصة لتولي ابنه الصغير الزعامة بوصاية ، اما ابناء باقي الزوجات فأنه يتم اعطائهم رجال والماشية ليتسنى لهم امكانية تشكيل مجاميع جديدة ضمن القبيلة نفسها في اطار توسيع تلك القبيلة . اما تعامل الاوربيون مع افراد البانتو فأنه يتخلله بعض الصعوبات كون اغلب الاتفاقيات لا يتم الاعتراف بها لأنها تبرم مع زعماء ثانويين لهذه القبائل سيما الاكسوزا منهم[3] .

اما الناحية القضائية فأن لدى قبائل البانتو هيئتين هي المحاكم والقانون العرفي ، اذ يتم الكشف عن المدانين بمختلف الجرائم ومنها السحر والشعوذة من طريق دكتور السحرة الذي يكشف عن اعمال السحرة والمشعوذين ، وتكون عقوبة الاعدام ومصادرة الاموال من العقوبات الرئيسة التي تنفذ بحقهم . اما الناحية الدينية فتعتقد هذه القبائل بوجود الواحد الاكبر المخلص والذي جلب جميع الناس والاشياء معا للعيش على هذه الارض وقد يكون هذا الشخص اشبه ما يكون الآب آدم اكثر من اعتقادهم بالله الخالق . فيما بقيت اغلب القوانين والاحكام والقرارات غير مكتوبة ، بل مخزونة في اذهان كبار رجال القبيلة لعدم اعتمادهم على الكتابة وتسجيل لغتهم ، فان اكثر طريقة هي حفظ القوانين والاعراف المنقولة بالكلام ، فضلا عن تحلي الزعيم بالفصاحة والبلاغة لقيادة مجلس القبيلة ، اذ يتلقى المساعدة في بعض الاحيان لإغناء اللغة ببعض المصطلحات وذلك لتعدد اللغات داخل القبيلة الكبيرة . فيما اعتمد اقتصاد البانتو على تربية الماشية بالدرجة الاساس الى جانب ممارسة الزراعة ، اما النساء فوقع على عاتقهن الاهتمام بزراعة الحديقة المنزلية وتربية الاطفال وغيرها ، فيما اهتم رجال القبيلة للعناية بالماشية . واخذت تربية الماشية اهمية كبيرة لدى البانتو ، ففضلا عن كونها ثروة وطنية فأنها عدت مفخرة ومحل تقديس لاعتبارات كثيرة ، لأنها حلقة تواصل الارواح مع الاحياء ، ورمز الحياة الموقرة ، حيث تقدم مهراً من قبل الزوج الى والد العروس لتكتسب المرأة مكانة مرموقة في المجتمع الافريقي ، فأن من دون الماشية سيكون الأطفال غير شرعيين حسب نظرهم [4] .

---

[1] A history of Southern Africa. , Eric A. Walker , (London , 1941), p.110.

[2] A history of Southern Africa. , Op , Cit., p. 115 .

[3] Ibid ., www. Wikipedia . Org .

[4] A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 116

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

بالرغم من ذلك ركز محاربو (الكافيرز) الذين هم فرع متقدم من قبائل الاكسهوزا التابعين للبانتو القبيلة الام على امتلاك الاراضي ، اذ لم تعد الماشية ميراث الزعيم فقط بالارض والرجال . وتالف مملكة الزعيم من مقره الذي يتوسط القبيلة وحوله مجموعة من الاكواخ والبيوت الصغيرة دون تحديد لمساحة تلك الارض ، الا ان بإمكان الزعيم وضع بعض العلامات الخاصة لتحديده لتفادي نشوء جدال حول تلك الارض . وفي الوقت نفسه فان الحرب من الطرق والوسائل التي تضمن انتقال ملكية اراضي قبيلة الى اخرى طبقا لطبيعة تلك الحروب (هزيمة ام انتصار)، حيث تعود ملكية الارض للقبيلة بشكل عام دون تفرد الزعيم بالتصرف في البيع او التنازل لوحده لارتباطها بأبناء القبيلة برباط الدم مع احتفاظ ما يتم رصد نسبة الزعيم من عشب او زراعة الارض بناء على الاعراف والتقاليد القبلية للكافيرز ، فضلا عن تنازل بعض الزعماء من ارضه للمبشرين والمستعمرون الذين تمتعوا بنفس الحقوق لافراد القبيلة مقابل تقديم بعض المساعدات المادية او المعنوية او العسكرية والمشورة وغيرها[1] .

المبحث الثاني : الاستعمار الهولندي والصراع الاوروبي في جنوب افريقيا (1652 – 1795)

تميزوا افراد قبائل (الاكسهوزا) بانهم مزارعون وصيادون ماهرون ، ومنهم قبائل الكافيرز الذين تمتعوا بقدرات قتالية ومحاربون اشداء ، سيما بعد ان اتسعت حدودهم وزادت مع زيادة نموهم السكاني نحو الاراضي التي استولوا عليها خلال القرن الثامن عشر ، اذ حصل اول اتصال للصيادين الهولنديين والكافيرز في عام 1775 ، عندما التقى الطرفان قرب نهر الفش ، وكان لتلاقيهما اهمية كبرى تمخض عن اول صدام مباشر بين القوتين كان له اثر بالغ في رسم خريطة لمستقبل جنوب افريقيا فيما بعد[2] .

وعلى نحو عام شهدت الحدود الشرقية في جنوب افريقيا جملة من التوسيعات المتكررة من قبل المزارعين الاوربيين ، سيما الهولنديين الذين شكلوا الغالبية العظمى منهم مصحوبين باستعدادات شبه عسكرية لتشكيل قوة ضاربة لتتمكن من الدفاع عن نفسها في المناطق الحدودية ، وفي المقابل هاجرت قبائل الاكسوزا من الشمال الشرقي على طول الطرق المحاذية للساحل الجنوبي الافريقي في رحلة باتجاه الجنوب الغربي واصبحوا متقابلين مع المجموعات الهولندية قرب الحدود المنعزلة عن مستعمرة الكاب تحديدا قرب نهر (الكامتوز) الذي عد الحد الشرقي فيها لتتوسع بعد ذلك في حدودها حتى نهر(كريت فش)، وفي غضون عام 1778 عبرت مجاميع الاكسوزا ، سيما الكافيرز ذلك النهر عادين بتبعية تلك الارض لهم على خلاف المزارعين (البوير Boer)[3] ، الذين طالبوا بتبعية تلك الارض ، وقادت مطالبة كلا الطرفين للأرض المحصورة بين نهري الفش والكامتوس الى الاحتكاك بين طبقتين مختلفتين حضاريا وثقافيا ومتشابهين في العمل كالصيد والزراعة وتربية الماشية ، وشغوفين لامتلاك الاراضي بمساحات واسعة ، مما دفع بحكام مستعمرة الكاب لزعماء الكافيرز قرب الحدود بجعل نهر الفش الحد الفاصل بين الطرفين [4] .

---

[1] دونالد. ل . وايد نر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة ، راشد البراوي ، (بيروت ، 196)، ص ، 129 .

[2] A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p .117 .

[3] في اللغة الهولندية المزارعون (Burghers) وتعني المواطنون المشتغلون بالزراعة ، واصل الكلمة هي تميزا لهم عن موظفي الشركة (شركة الهند الشرقية الهولندية) ، ذو الاصول الهولندية ، وربما تمسكوا بهذا الاسم لكونهم لهم مصالح مغايرة لما لموظفي الشركة المكبلين بالضرائب .

The New Encyclopedia Britannica , Vol . 2, (Chicago , 1988) , pp. 319- 320 .

[4] A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 117 .

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

رغم المحاولات المتكررة لاستمالتهم الى ما وراء نهر (الفش) انتشرت قبائل الكافيرز عام 1779 نحو ارض(الزورفيلد Zuorveld) التي ادعى البوير بتبعيتها لها حتى انتهى بصدام الطرفين وقتل العديد من الهوتنتوس الذين عملوا مزارعين لدى البوير ايذانا باندلاع حرب الكافيرز الاولى بين الطرفين ، التي استمرت نحو قرناً من الزمن ، ، وضعوا الحرب والقوة خيارهم الاول . لقد اخذ البوير المزارعون زمام المبادرة وكانوا على استعداد تام للعمليات العسكرية تحت امرة (ادريان فان جارسفيل) ، نافخ البوق على الحدود ايذانا بوجود خطر ، وبعد سلسلة من العمليات الهجومية نجحوا بأبعاد الكافيرز الى ما وراء نهر الفش[1] .

تعددت اسباب حرب الكافيرز الاولى ، التي رجحت الآراء المختلفة منها تعود الى زيادة المطردة في اعداد الاوربيين القاطنين عبر الحدود ، وتحديدا منذ ان اتخذ وليام برنسلوا وهو احد الصيادين المغامرين الذي شكى من سرقة ماشيته ، بينما ترجح اخرى الى حدوث عمليات انتقامية بين الطرفين لتكرار السرقات ، او قيام برنسلوا بمقايضة غير شرعية قادت الى قتل احد رجال رارابي زعيم الاكسهوزا .[2]

مرت الحدود الشرقية خلال ثمانينيات قرن الثامن عشر بفترة هدوء نسبي ، حيث وفرة الامطار وساد الرعي اغلب الزراعة الاراضي ، على عكس الحدود الغربية التي حل فيها الجفاف ، اما في مستعمرة الكاب فقد ادت الزيادة المطردة للسكان الى الحاجة لطلب على اللحوم الطازجة وتوفيرها من خارج المستعمرة ، من خلال الاستعانة بماشية السكان المحليين لسد النقص الحاصل ، مما اعطى مسوغٌ للأخير للعبور نحو الحدود الشرقية للمستعمرة في منطقة الزورفيلد مع قطعان حيواناتهم ، ففي هذه المرة لم يفلح البوير في طردهم ، اذ عادت سرقة ماشية احدهم للأخر بداعي تعويض دون خضوعهم لسيطرة زعيم او للأوربيين ، ورغم ذلك فقد استطاع الطرفين من المحافظة على سلام دام لسنتين من خلال التركيز على نقاط الضعف والقوة ، وتفعيل دور القانون ومعاملة الجميع بعدالة ، الا ان القائمين على المستعمرة اقروا بافتقار الحدود الى لرجال الشرطة ، فضلا عن عنصر البعد عن الادارة المركزية يفقد القانون مفعوله [3] .

في ظل المكاسب التي حققتها قبائل الكافيرز في صراعهم الاخير مع البوير زادت من احتكاكها واعمالها الانتقامية والعدائية ضد المزارعين ، مما اعطوا لا نفسهم مبررا بالحق الشرعي لحربهم ومحاولة استعادة اراضيهم ، ففي الوقت الذي توغل فيه الكافيرز حدود شرق المستعمرة استنادا لاتفاق موقع عام 1770 المتمثلة بنهر الكامتوز ، حيث استغل هؤلاء تمرد البوير ضد احتلال البريطاني لمستعمرة

---

[1] Ibid .

[2] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa , S . M . Molema , (Edinburgh , 1920), p . 99.

[3] امتدت الحروب النابليونية (1799– 1814) الى اغلب دول اوروبا ومنها هولندا التي اجتاحتها فرنسا لتعلن فيها الجمهورية بعد هروب وليم اورانج ملك هولندا الى بريطانيا التي اقترحت عليه عقد معاهدة تنص على منح الحماية والوصاية على مستعمراتها (الهولندية) ، ومنها مستعمرة الكاب لتصبح منذ عام 1806 مستعمرة بريطانية بعد سلسلة من الاحتلالات ، والتنازلات وتبادل للمصالح بين الجانبين البريطاني والهولندي انتهت لصالح بريطانيا التي مارست سياستها فيما بعد. =

= اوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرون 1789 – 1950 ، أ. ج . جرانت ، هارولد تمبرلي ، ترجمة محمد علي ابو درة ولويس اسكندر ، ج 1 ، (القاهرة ، 1967) ، ص ص 129 – 130 .

الكاب عام 1795 في اطار نشوب الحرب الدائرة بين اوروبا بقيادة بريطانيا وفرنسا النابليونية وانعكاسها على مستعمراتهما في افريقيا التي تكللت باتفاق لندن عام 1814 [1] ، ففي خضم تلك الاحداث عبّر البوير الهولنديون في منطقتي (سولندام وكراف رنيت) الحدوديتين عن استيائهم من سياسة بريطانيا في المستعمرة دون ان تضع حد لهجمات (الكافيرز) على ممتلكاتهم ، واعلنوا عصيانهم بدعوى عدم توفر الحماية الكافية لهم ولمزارعهم وعدم السماح لهم للدفاع عن انفسهم ، نتج عنه هجرة اعداد كبيرة من العمال (الهوتنتوس) من مزارع (البوير) وسرقة بنادقهم وانظموا الى صفوف المهاجمين ، حتى اصبحوا قوة ضاربة هددت سكان المستعمرة ، حيث اقدم هؤلاء على حرق منازل المزارعين وسرقة قطعان الماشية ، ولم تفلح جميع اساليب الردع من قبل الحامية العسكرية البريطانية في وقف هجماتهم ، حتى اضطرت حكومة المستعمرة لأبرام السلام مع زعماء (الكافيرز) في عام 1806 [2] .

المبحث الثالث : الاحتلال البريطاني واستراتيجية اصلاح الادارة في جنوب افريقيا

خلفت بريطانيا هولندا في جنوب افريقيا بعد سلسلة من الاحتلالات المتقطعة شهدتها مستعمرة الكاب واحدة منها عام 1795 واخرى عام 1806 ، وعلى اثر الحروب النابليونية اصبحت مستعمرة الكاب تحت الادارة البريطانية رسميا وفق مقررات مؤتمر فيينا عام 1815 [3] ، وباشرت بإجراءاتها الاستعمارية بطريقة اقرب الى البيروقراطية المنظمة ، ومنها انشاء مجلس استشاري ، ومن ثم المحكمة العليا لتفعيل السلطة القضائية ، والحد من السياسة العنصرية التي اتبعتها الادارة الهولندية السابقة ضد السكان المحليين ، لكنها شجعت على الهجرة البريطانية بغية تحقيق توازن سكاني مع العنصر الهولندي في المستعمرة ، واكدت الانجليزية لغة رسمية في جميع مرافق الحياة ، فيما دعمت الارساليات الدينية الكاثوليكية ، اذ دعمت الحكومة البريطانية النشاط التبشيري والاحياء الديني بين السكان المحليين قرب الحدود الادارية لمستعمرة الكاب [4] ، واصدر مجلس العموم البريطاني عام 1833 قرارا يقضي بإلغاء تجارة العبيد في جميع مستعمراتها ، اذ طبق القرار في جنوب افريقيا ايضا [5] .

زاد القرار البريطاني بإلغاء تجارة العبيد لعام 1833 من هوة الصدام بين الجانبين البريطاني والبويري في مستعمرة الكاب ، ومن جانب اخر ازال هذا القرار بعض العقبات لكسب تعاطف السكان المحليين وشعوبهم ووقف اي دعم للنظرة الاستعبادية والاستعلائية وسخرية

---

[1] وقعت اتفاقية لندن في 13 أب 1814 بين كل من بريطانيا وهولندا من جهة وفرنسا من جهة اخرى ، حيث اعادت فيها بريطانيا اغلب ممتلكاتها منذ عام 1803 في كل من الاميركيتين واسيا وافريقيا ومنها مستعمرة الكاب الهولندية ، فيما استعادت الاخيرة اكثر ممتلكاتها مع بلجيكا والهند الشرقية .

A short History of South Africa , John Selby , (London , 1973) , p . 39 .

[2] تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، المصدر السابق ، ص 174 .

[3] وضع مؤتمر فيّنا عام 1815 حدا للحرب بين اوروبا وفرنسا النابليونية لا عادة توزيع المستعمرات الفرنسية بين الدول المنتصرة ، زيدان حسان حاوي الشويلي ، مؤتمر فيّنا 1814– 1815 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، 2004 ، ص ص 53 – 55.

[4] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 100 .

[5] في 7 أب مرر المرسوم المتعلق بتحرير العبيد في البرلمان البريطاني وطبق في جميع المستعمرات البريطانية ، ومنها العبيد في مستعمرة الكاب . A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 167 .

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

الجنس الابيض لهم . لقد تغيرت رغبة الحكومة البريطانية في تفعيل هذا القرار طبقا للتغيرات التي حصلت في السياسة البريطانية ما بين احتياجها لتجارة العبيد ابان القرن السابع عشر ، وما بين احتياجها في القرن التاسع عشر وازالة بقاياها نهائيا في مستعمراتها وضمان سيادتها على البحار بحجة تنفيذ القرار ، و شملت جنوب افريقيا ايضا ، لقد جاءت تلك التغييرات من الجانب البريطاني وذلك في منحى لتخفيف الضغط الحاصل على سياستها في جنوب افريقيا وكسب ود السكان المحليين ، فضلا عن اظهار التزامها امام المجتمع الدولي في انها تسعى الى المساواة في الوقت نفسه اوجد ذلك القرار خصومة وقطيعة مع غرمائه البوير في مستعمرة الكاب كونه سيحدث فراغا ونقصا في الايدي العاملة في الحقول والمزارع ، واجبارهم على دفع اجور اضافية واحداث مشاكل جديدة منها ما تتعلق بإعتاقهم من سادتهم طلبا للحرية وهو ما كان يخشاه البوير ، كما سبب القرار في خسارة مالية قدرت بنحو ثلاثة ملايين جنيه استرليني ، فلما طلب البوير تعويضا من الحكومة البريطانية اشترطت الاخيرة مجيء صاحب العلاقة واستلام المبلغ من لندن وبسبب بعد المسافة وتدخلت بعض السماسرة وتجار العملة على خط التعويضات مما حدى بالبوير العزوف عن استلام تلك المبالغ ، ورفضهم تلك السياسة في جنوب افريقيا لتخفيف حدة التمييز العنصري فيها [1] .

على الرغم من ذلك وبعد ان تم لها استيلائها على مستعمرة الكاب اصبح لزاما على الحكومة البريطانية حماية سكان المستعمرة ورعاياها من هجمات السكان المحليين ، فقد عادت حرب الكافيرز في عام 1811 للواجهة من جديد ، فهي كمثيلاتها متعلقة بمسالة الحدود في منطقة الزور فيلد التي اصبحت حلبة الصراع ، وقبل كل شيء حاول القادة الهولنديون ومعهم البريطانيون من اقناع زعماء الكافيرز (هنتزا) و(نكيكا) و(ندلامبي) بالعدول عن الحرب دون جدوى، ليأتي الرد على تلك المفاوضات الطويلة في جواب احد الزعماء بالقول (البلاد هي بلادي فزت بها من خلال خوض الحرب ، وهذا يعني ان احتفظ بها) . لكن اقدام الكافيرز بقتل الموظف الحكومي (ستوكن ستورم) وثلاثة عشر رجلا اخرين بصورة مفاجئة ، اشعل الحرب واستأنفت الحملة العسكرية ، اذ تمكنوا في غضون مدة قصيرة من انزال العقاب بالمتسببين بقتل زملائهم لتنتهي حرب الرابعة ، ولحقتها جملة من الاجراءات الانية التي لا ترتقي الى المستوى المطلوب ، منها إعادة الكافيرز الى ما وراء نهر الفش وبناء مخافر حدودية على طول النهر لأغراض الحراسة دون جدوى [2] .

لكل حرب ظروفها الخاصة بها من حيث اسبابها ومسبباتها واحداثها المتصاعدة شيئا فشيء ، اما الحرب الخامسة التي نشبت للمدة من (1818- 1819) فانه يرجح اسبابها الحقيقية الى الخلاف في عملية تقاسم المناطق بين الزعماء الاكسهوزا المتنافسين ، اذ تم تقاسم منطقة (امارابي) بين نكيكا وندلامبي زعماء قبائل الكافيرز في عام 1796 . دخل الاول في حلف مع الحكومة البريطانية التي اعترفت به زعيما اعلى للاكسهوزا من جانبها رغم تعرضه لهزيمة على يد ندلامبي عام 1817 ولجا الى البريطانيين الذين تعهدوا بمساعدته دون ان يعي المسؤلون في المستعمرة انهم اقحموا انفسهم جراء ذلك في الحروب القبلية الداخلية للاكسهوزا ، وبهذا تكون الحرب الخامسة قد بدأة شرارتها عندما زحف سكان الكاب مع الحامية البريطانية في الكاب ، سيما الزعيم نكيكا ضد عمه ندلامبي الذي هزم وعد خارجا عن القانون وشتتوا

---

[1] سياسة التمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا 1652 – 1910 ، عقيل جعاز شمخي السهلاني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2009 ، ص 76 – 77 .

[2] A History of South Africa From the Earliest Days to Union , Scually . W .C ., and William Charles , University of California Press , (California , 1915) , p . 45 .

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

قواه ، لكنه سرعان ما استجمع قواه حال انسحاب القوات البريطانية الى المستعمرة ، اذ جاءوا بقوة كبيرة وانقضّوا على مدينة (كراهامستون) التي كانت مركز عسكرية بريطاني حدودي في المنطقة الشرقية ، وارسل ندلامبي في الوقت نفسه الى قائد قلعة (ولشاير) انذارا حمل الكلمات التالية (سنتناول فطورنا معكم غدا صباحا). ومع ابتلاج ساعات الفجر الاولى شوهد نحو عشرة الاف مقاتل من الكافيرز وهم على اهبة الاستعداد ، لكنهم اخفقوا في الاستيلاء على القلعة تاركين وراءهم نحو الف وخمسمائة رجل بين قتيل وجريح ، لتنتهي الحملة بإصدار بيان من قبل الادارة البريطانية ان الارض التي تقع بين نهري كيساكما والفش لا تعود لاحد ، وبقيت بين كماشة الكافيرز ومطرقة البريطانيين منذ عام 1825 حتى عام 1843 تبادل فيها الطرفان الهزائم والانتصارات قادت المنطقة الى مزيدا من المتاعب ، ليبدا فصل جديد من الحروب بين الطرفين [1] .

على ارض الواقع فان التطورات السياسية على المستوى الداخلي التي رافقت جنوب افريقيا ، سيما ما يتعلق بالأراضي التي تم الاستيلاء عليها ادى بالنتيجة لظهور صراع بين البوير والبريطانيين وطبيعة العلاقات التي تحكمهم من جهة وبين السكان المحليين ، التي تمثلت بتبادل الهزائم والانتصارات والكر والفر بين الجانبين والمتمثلة بحروب الكافيرز (1820 – 1834) من جهة اخرى ، والتي اخذت اشكالا مختلفة ما بين القبائل الافريقية ، وظهور الزولو كقوة كبيرة بعد عام 1818 اخضاع الكثير من القبائل الافريقية الصغيرة لأكثر من مائة قبيلة للانضمام تحت لواء (شاكا) ، وهذا يعني زيادة في عدد السكان وحاجتها لأراضي زراعية ومراعي جديدة لإيوائها ، اعطت مبررا لشاكا في غزو جيرانه واعلان الحرب الاخرى التي لم ترضخ ، سيما وقد اوجد الاخير جهازا عسكريا اكثر قوة من ذي قبل اهله لمحاربة القبائل المجاورة ، ولخشيته من مواجهة البوير اجبرته للاستعانة بالبريطانيين للحصول على السلاح والذخائر وغيرها لمحاربة قبائل الكافيرز مقابل منحهم قسما من ميناء (الناتال) ، لتستمر تلك الحروب حتى بعد اغتياله على يد اخيه دنجان عام 1828 واصبح زعيما للزولو [2] ، فكانت نتائج تلك الحروب وخيمة على المجتمعات الافريقية عامة وقبائل الكافيرز بشكل خاص ، حيث مات الالاف ونفقت الكثير من الماشية وفقدت الاراضي الزراعية التي تركت دون رعاية ، سيما اراضي (الناتال) وجانبي نهر (الفال) المعروفة (ترانسفال) بسبب الجفاف والقحط مما ارغم السكان المحليين الى تركها واللجوء نحو اراضي مستعمرة الكاب ، حيث زاد عدد هم وتباين توزيعهم الجغرافي واصبح لا يتناسب مع حجم الاراضي على الجهة الشرقية للمستعمرة ، اعطت هذه الاحداث مسوغا الى قيام البوير بالهجرة خارج المستعمرة [3] .

على وقع تلك المشاكل اصبح الاضطراب وعدم الاستقرار هي السمة الابرز للحدود الشرقية لمستعمرة الكاب ، سيما الحدود الشرقية التي تعد الحد الفاصل ، ففي اثر موت الزعيم (كايكا)وخلفه ابنه (ما كوما) ، ولكونه فقد المقبولية من قبل المستعمرون في وادي تيومي التي كانت في وقت سابق ارض محايدة ، الا ان الامر لم يدم طويلا حتى ضمت تيومي للمستعمرة بشكل رسمي ، ولد فيما بعد رد فعل غاضب من

---

[1] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 12 .

[2] عدت قبائل الزولو من كبريات قبائل البانتو الافريقية التي تمتعت بالقوة العسكرية التي استطاعت من اخضاع العديد من القبائل تحت سيادتها ، سيما في عهد شاكا ابرز زعماء الزولو ، الرجل الذي قدر له ان يغير تاريخ امته ، لولا مفتله على يد اخيه دنجان .

South Africa an Historical Introduction , Freda Troup , (London , 1972) , p . 86 .

[3] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p.187.

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

الطرف الاخر ادى الى تدمير الاراضي المضمونة ، فاختار المهاجمون يوم راس السنة الميلادي وهاجموا المستعمرة متسببين بدمار كبير في الارواح والممتلكات حتى استعان المستعمرون بقبائل الفنكوس الموالية للأخير والمنضوية تحت قيادة (السير بنيامين دربان Durban Sir Benjamin) الذي حاول استمالتهم لعقد السلام معهم واعلان الارض الواقعة بين نهري الكي والفش تحت الادارة البريطاني في جنوب افريقيا بشكل مؤقت [1] .

على الرغم من عملية السلام السطحية كما يحسن ان تسمى التي اجرتها ادارة مستعمرة الكاب مع سكان الحدود المحليين الذين عدوا تلك العملية الاخيرة سرقة لأرضهم وحقوقهم المسلوبة من قبل المستعمرين ، وعلت اصواتهم لتلقي بمسامعهم تظلم تقدموا به الى الحكومة البريطانية في لندن ، مما شكل صدمة (للورد كلينك Glenelg) وزير الخارجية الذي استمع لتقارير التي كتبت من قبل (بعثة لندن التبشيرية) [2] حول انتهاكات وعمليات استيلاء واجبار السكان المحليين على ترك ارضهم عنوة دون وجه حق ، واطلعت الراي العام البريطاني ووزارة الخارجية عنها [3] ، والتي عدتها غير عادلة وامر الوزير بإعادتها الى مالكيها دون شروط ، اذ اوجدت تلك القرارات تذمرا بين صفوف المستعمرين ، سيما العنصر الهولندي الذي استشاط غضبا من تلك القرارات الاخيرة ، مما كان له ابلغ الاثر في اقدام البوير على هجرتهم المعروفة تاريخيا (الهجرة العظمى Greet Teak Boer) [4] التي حصلت فيما بعد [5] .

تأرجحت طبيعة العلاقة بين مستعمرة الكاب وقبائل الكافيرز على الحدود الشرقية بين المد والجزر ، فتارة يتم تسوية الاضطرابات بشكل سلمي ، وان هذا السلام ما كان منه ان يستمر حتى تعاود الازمة من جديد تارة اخرى ، ففي عام 1846 اعتقل احد رجال الكافيرز لسرقته فاسا وقيد مع سجين افريقي اخر من الهوتنتوس ، واخذ لا قرب دار قضاء في مدينة كراهامستون وفي الطريق اطلق زملائه صراحه ونشب اثر

---

[1] A history of South Africa , Dorothea Fairridge , Oxford University Press, (Oxford , 1918) ; تاريخ جنوب افريقيا ، المصدر السابق ، ص 111- 115.

[2] عدت من اهم الجمعيات التبشيرية للتنصير ونشر المسيحية في جنوب افريقيا ، وسجلت العديد من الخروقات والاعتداء على السكان المحليين لدرجة اصبحت فيها تلك الجمعيات مصدر قلق للأوروبيين والحكومات المتعاقبة في جنوب افريقيا

The new Encyclopedia Britannica , Vol . 9 . p. 379 .

[3] A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 1 87 .

[4] عدت الهجرة الكبرى (الهجرة العظمى) من اهم الاحداث التي شهدتها جنوب افريقيا الى ذلك في ظل الصراع والضغط ، حيث اضطر البوير الهولنديين الذي احدثته القوة العسكرية والنظم والقوانين البريطانية المستحدثة التي طبقت في مستعمرة الكاب ، ومن ابرزها قانون تحرير العبيد الذي اصدره البرلمان البريطاني ، فضلا عن رغبة البوير في التخلص من القيود البريطانية الجديدة ورغبتهم في انشاء حكم ذاتي يتماشى مع تراثهم وثقافتهم وقوانين الكنيسة الهولندية المستخلصة ، وغيرها من الاسباب الاخرى . للمزيد عن ذلك ينظر:

History of the Emigrant Boer in South Africa or the Wanderings and wares of the Emigrant farmers from their Learning cap colony to the A acknowledgment of their Independence by Great Britain , George Theal , London press , (Toronto , N.D) , p . 37.

[5] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 103 – 104 .

32 . A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p. 342

قبائل البانتو (جنوب افريقيا) وموقفهم في مواجهة القوى الاستعمارية
دراسة في تحقيق الوجود وإثبات الهوية 1779 – 1877

م . د . عباس غلام حسين

ذلك شجار ادى الى مقتل احد المهاجمين واحد رجال الشرطة ، لتندلع بذلك حرب سابعة عرفت تاريخيا بـ (حرب الفأس 1846- 1848) [1]،

فبعد ان نشبت حرب غير متكافئة ، نجح (الكافيرز) في البداية في التصدي للشرطة ، لكن سرعان ما تغيرت لعبة الحرب بعد ان انظمتْ بعض القبائل مثل الفنكوس لجانب المستعمرين لتصبح الحرب اكثر ضراوة وتنتهي لصالح الاخير، فأعيد ترسيم الحدود الشرقية الممتدة تحت اسم مستعمرة (كافراريا Kaffraia) [2] تابعة للتاج البريطاني ، وعقد السلام مع (ساريلي) زعيم الكافيرز[3] .

مما لاشك في ان قيام مستعمرة خاصة بالسكان المحليين (كافراريا) ، عد حدثا وتطورا جديدا في السياسة البريطانية في جنوب افريقيا مما قد يضع حدا للتدخل في شؤون السكان المحليين ، وتزامناً مع السياسة البريطانية الجديدة المتبعة في جنوب افريقيا المتعلقة بالتدخل والتغلغل البسيط بشؤون البانتو ، وترك امر حكم شعوبهم ما داموا لا يهاجمون المستعمرة ، لتصبح كافراريا نموذجا يحتذى به مع بقية المستعمرات البيضاء في جنوب افريقيا تبعا لما يقره شعب البانتو [4] .

ورغم اعتقاد المسؤولين في مستعمرة الكاب بوضع حد نهائي للصراع العرقي للطرفين ، الا ان هذا لم يمنع من عودة النزاع حول الارض من جديد للواجهة لتندلع عام 1850 حربا جديدة لاحت للعيان عده المؤرخين حرب الكافيرز الثامنة قرب الحدود الشرقية ، وصفت من اشد الحروب بين الطرفين ، فاغتنم الكافيرز فرصة اعياد الميلاد التي شهدتها المستعمرة وانظم اليهم بعض قبائل الهوتنتوتس وهاجموا مراكز الشرطة واستولوا على احداها ، وتخندق كثيرا منهم في الحفر الطبيعية المنيعة في جبال آما تولا ، وانحدروا ليلعبوا لعبة الاجتياح على المقاطعات الممتدة على طول حدود المستعمرة ، على اية حال هزم (ساريلي) زعيم الكافيرز ، واستولت الحكومة على الآلاف من رؤوس الماشية العائدة له[5] .

كانت للهجرة البويرية العظمى التي حصلت مؤخرا في جنوب افريقيا نحو اعالي الترانسفال ونهر الاورانج تبعاتٌ خطيرة ، اذ انشاء المهاجرون البوير عدد من الجمهوريات مثل (جمهورية الاورانج الحرة و جمهورية جنوب افريقيا) [6] ، وعقدت بريطانيا سلسلة من

---

[2] مشروع مستعمرة مستقلة انشأتها مستعمرة الكاب في جنوب افريقيا ، بالتعاون مع البعثات التبشيرية الانكليزية للسكان المحليين الذين تركوا على اراضيهم تحت حكم زعمائهم ، وخضعوا لسلطة المفوض السامي البريطاني زعيما اعلى والمكاتب القضائية للقيام بتطبيق القانون . ومن المأخذ على ذلك المشروع انتزاع السلطة من ايدي الزعماء في ظل غياب الريع الجيد .

A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 349 .

[3] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 103 - 105 .

[4] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 103 – 104 .

[5] A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 343 .

[6] وهي الجمهوريات التي شكلها البوير الهولنديين بعد الهجرة الكبرى عام 1836 نحو الشمال ، حيث الاراضي الخصبة بين نهري الفال والاورانج ولمبوبو الواقع شمال شرق من مستعمرة الكاب ، وتم الاعتراف بهما جمهوريتان شبه مستقلتان في اطار السيادة = = البريطانية في الشؤون الخارجية . اعتمد اقتصادهما على الزراعة والرعي وفرض الضرائب على شركات التعدين ، فضلا عن تربية الماشية بشكل واسع ، اذ تمتلك اكثر من نصف ماتملكه جنوب افريقيا .

The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 388 .

الاتفاقيات لضمان بقائهما ضمن سيادتها مثل (ميثاق نهر الساند) عام 1852 وميثاق (بلومفنتين) عام 1854 ، لوضع حد للخلاف الاوروبي وبداية التقارب بين الجانبين فكان على الكافيرز مواجهة قوتين اوربيتين معا [1] .

بالرغم من تجدد حربا البانتو الثامنة والتاسعة شهدت جنوب افريقيا حدثيين بالغين في الأهمية ، تمثلت بوصول (السير جورج كراي Sir Georg Gray) [2]، لتسلمه منصب حاكم عام مستعمرة الكاب عام 1854 ، وهو شخصية عد في مصاف الحكام الذين نجحوا في التعامل مع مسالة البانتو ، ووضع اساس ما يتوجب ان يكون عليه السلام الدائم في جنوب افريقيا ، عبر ادارة حكيمة بعيدة النظر هدفت لتهدئة شعوب الكافيرز ، والنهوض بهم ، وتوجيههم ومتابعة انشطتهم الخارجية نحو افاقٌ اخرى اكثر نبلاً من منهج الحرب ، من خلال فتح قنوات التعليم المهني[3] .

اما الحدث الابرز في تاريخ جنوب افريقيا فهو ما عرف بالانتحار المحلي (نبوءة ننكواز) [4] ، فبعد تولي (كراي) ادارة مستعمرة الكاب حدثت تلك الكارثة التي يعود سببها الى شيوع ظاهرة السحر والشعوذة الى ازمان ساحقة من حياة السكان المحليين ، الا انها كانت الاكثر وطئه من سابقاتها ، وذلك لوقعها الكبير على جميع قبائل البانتو من جهة وجنوب افريقيا من جهة اخرى ، حيث صدقت احدى الخرافات نجم عنها موت نحو سبعون الف شخصا من الكافيرز ونفوق حيواناتهم بعد ان احرقوا كل المحاصيل ، مما كسرت شوكت تلك القبائل نتيجة لحماقاتهم وتخلفهم[5] ، ووعدت تلك الفتاة شعبها بمعجزة تحدث مفادها ((تهب دوامة تكتسح البريطانيين وتلقي بهم الى البحر من قبل ابطال الاكسهوزا الموتى بعد احياءهم)) ، حتى استجاب شعبها لذلك ودمر الاكسهوزا كل ما عندهم من خزين غذائي وخربت اغلب محاصيلهم الزراعية ومواشيهم حتى انتظروا اليوم الموعود دون ان يحدث شيء ، من جانبها تلقت الحكومة البريطانية تلك المعلومات دون تأكيد

---

[1] تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، المصدر السابق ، ص 208- 209 ؛

The Cambridge history of Africa . , Op . Cit ., p . 56 .

[2] ولد عام 1812 وهو ضابط في الجيش البريطاني وهو ، اعتلى مناصب ادارية وعسكرية عدة اهلته لان يكون حاكما ناجحا ، تسلم منصب حاكما عاما في استراليا مرتين (1814 – 1845) ، وفي نيوزيلاندا (1845 – 1854) ، ومن ثم حاكم مستعمرة الكاب ، (1854 – 1861) ، وتبوأ منصب رئيس وزراء نيوزيلاندا للمدة من (1877 – 1879). تاريخ افريقيا العام ، ج . ف . آدي آجاي ،ج 6 ، (بيروت ، 1996) ، ص ص . 198-199؛

A history of Southern Africa . , Op . Cit ., p . 304 .

[3]The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 106 .

[4] شاع بين بطون قبيلة الاكسوزا ان فتاة صغيرة تدعى (ننكواز) قد رأت في منامها عام 1856 ارواح الموتى المقاتلين مع رجال غرباء جاء جميعا لألقاء الرجل الابيض في البحر ، واشترطت لذلك عدم زراعة الارض وتخريب المحاصيل وقتل الماشية ، ووافق نبوءتها هذه عمها مهلاكازا مما دفع بالقبائل الى تصديقها ، مما ادى الى موت الالاف من الناس والماشية وتخريب مزارعهم ، ورغم التحقيقات ظل الامر غامضا تجاه الفاعل الحقيقي وان استخدام السحرة من الاكسوزا كوسيلة لفعلته . للمزيد ينظر:

History of south Africa under the administration of the Dutch East India company 1652 to 1797 , G . M . Theal , (Michigan , 1897) , p . 766 .

[5]The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 108 - 109 .

او معرفة حجم الكارثة ، لكنها سارعت للتحضير لأي طارئ حتى حلت الكارثة بهم ونتائجها الوخيمة على الحالة المعيشية لهؤلاء من مجاعة اصابت الاكسهوزا هي الأسوأ في المنطقة ، ولم تعد تلك القبائل قوية مثل السابق ، لذا اصبح اعتمادهم على اغاثة البريطانيين والعمل في حقولهم [1] ، فيما تزامن ذلك مع بعض الاخفاقات اصاب الجيش البريطاني ، اذ فقدت سفينة نقل الجنود (بريك انهيد) وعلى متنها نحو اربعمائة جندي وهي في طريقها من المستعمرة الى الهند لإخماد الثورة الهندية ضد القوات البريطانية[2] .

توصلت الحكومة البريطانية في مستعمرة الكاب بفضل دهاء حاكمها السير جورج كراي الى خيوط الكارثة التي اصابت قبائل الاكسوزا مؤخرا بأن (موشيش) [3] زعيم قبائل الباسوتو كان يعد الخطط للقضاء على البوير بصرف انظار البريطانيين لما يحاك من حرب ضدهم ، عندما بعث من عملاءه الى قبائل الاكسهوزا لأثارة الفوضى ، الا انه لم يتمكن من الافلات من عقاب البريطانيين الذين عدوا العدة للتخلص من اخر خطر يهددهم في المنطقة ، فقد دخل الجانبان في حرب فاصلة عام 1866 لتنتهي بهزيمة الباسوتو واصبحت محمية بريطانية بعد عامين من تلك الحرب ، ووضعت نهاية للمقاومة الحقيقية لتلك القبائل في شرق مستعمرة الكاب ، اما قبائل الاكسهوزا وتحديدا الكافيرز فقد استعادوا نشاطهم للوقوف بوجه البريطانيين واثبتوا انهم قادرون على مقارعتهم [4] .

خيم الهدوء الحذر على المكان ولو لمدة غير قصيرة حتى عاد الاحتكاك بين الجانبين الاوربيين والسكان المحليين قرب الحدود الشرقية ، اذ قام ساريلي زعيم قبيلة الكافيرز بمهاجمة قبائل الفنكوس ، الموالين للمستعمرة ايذانا بقيام الحرب التاسعة والذي تزامن مع وصول(السير هنري بارترل فرير) مبعوث من قبل وزارة شؤون المستعمرات لتسهيل ضم كل المستعمرات البيضاء في جنوب افريقيا في اتحاد فدرالي [5] ، ووضع حد للصراع الاوروبي (بريطانيا و البوير) التي جاءت نتيجة لتخبط الحكومة البريطانية وسوء ادارتها بتوجهها نحو السكان الاصليين ، سيما تزامنه

---

[1] تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، المصدر السابق ، ص 174 .

[2] اندلعت هذه الثورة في الهند بعد ان شاع بين المجندين الهنود باستخدام البريطانيين للحوم البقر في الطعام وهو محرم في الهند وكذلك استخدام شحوم الخنازير في عملية تعبئة الذخيرة ، فيتم قضمها من قبل المجندين المسلمين كونه محرم لديهم ايضا . للمزيد عن ذلك ينظر:

سياسة بريطانيا تجاه الهند (1764 –1858) ، رنا عبد الجبار الزهيري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2011 ، ص 162 – 169.

[3] عد احد ابرز الزعماء الافريقيين والمؤسسين الحقيقيين لامة الباسو تو (وتعرف ايضا السوثو) ، رجل من الطراز الاول في جنوب افريقيا شهده قرن التاسع عشر ، ولد في مدينة فينكوا ينغ اثناء مجاعة عام 1787 ، تعلم القانون والحكمة على يد موهلومي وهو رجل افريقي صاحب شهرة كبيرة في جنوب افريقيا ، وبسبب حنكته السياسية استحق لقب موشيش الكبير ، للمزيد ينظر :

Op . Cit The New Encyclopedia Britannica , Vol . 8 , p . 387 ; the Cambridge history of Africa , vol . 2 , ., p . 395

[4] The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa., Op . Cit ., p . 109 .

[5] اعلنت الحكومة البريطانية عام 1877 ضم جمهوريات البوير (جمهورية جنوب افريقيا – جمهورية الاورانج الحرة) ، في محاولة لربط تلك الجمهوريات في اتحاد فدرالي مع بريطانيا ، وعند تولي غلادستون الوزارة في بر يطانيا اعادت حكومته المعادية للنزعة الامبريالية الحكم الذاتي للبوير شريطة اخضاعها لبريطانيا في الشؤون الخارجية والمقيمين البريطانيين . للمزيد عن ذلك انظر :

الملكة فكتوريا واثرها في السياسة البريطانية (1837 – 1901) ، حيدر صبري شاكر الخاقاني ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2009 .

مع هيجان قبائل الزولو ، ومحاولة دمجهم ضمن نطاق إمبراطوريتها تسهيلا لجهود السير فرير في توحيدها ودمجهم جميعا في النظام الفدرالي المزعوم دون جدوى ، لتندلع حربٌ ضروسٌ مع الزولو ، منيت بها القوات البريطانية ، عندما تعرضت لاحد ارتال القوة فقتل نحو ثمانمائة جندي بريطاني وما يقارب من خمسمائة من السكان المحليين وكبدتهم خسائر بالأرواح والمعدات والاموال ، وقد كان لهذه الانباء وقع الصدمة على الرأي العام البريطاني الذي لم يسمع بوقوع حرب في جنوب افريقيا مما احرجت الحكومة البريطانية في لندن امام حلفائها[1] .

الاستنتاجات والتوصيات

1- تضارب في المصالح الاستعمارية الشوفينية للأوربيين تجاه السكان الاصليين اصحاب الارض والهادفة لاستغلال ثرواتها الطبيعية ، واستعباد سكانها من خلال فرض سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا .

2 – وحشية الممارسات الاستعمارية في تعاملها مع السكان الاصليين في تلك البلاد متناسين مهمة وهي ان الطرفين الاوربيين هم قضية طارئين على جنوب افريقيا.

3 – ان قيام مستعمرة كافراريا خاصة بالأفريقيين تعد نقطة تحول في سياسة بريطانيا تجاه قبائل البانتو في جنوب افريقيا ، تاركا الامر لزعمائهم لإدارة شؤون شعوبهم .

4 – اثبت قبائل البانتو ومنهم قبائل الكافيرز انهم رجال شجعان في الدفاع عن ارضهم مهما كلف ذلك ، رغم عدم التكافؤ بين الجانبين في العدة والتطور والامكانات ، فهم قابلوا البنادق الحديثة بالوسائل البدائية .

5 – ان التحول في سياسة بريطانيا ومحاولة توحيد المستعمرات البيضاء في جنوب افريقيا قد شجع السكان المحليين ، سيما قبائل البانتو لرص الصفوف وترك الخلاف الداخلي للوقوف بوجه المشاريع الاستعمارية ومنعها بالمضي بسياسة التمييز العنصر .

6 – فشل بريطانيا في رسم سياسة مستقبلية لحل مشكلة الحدود ، واثرت الخيار العسكري واستخدمت القوة والحزم ضد السكان المحليين للسيطرة على الحدود دون ان تضع حدا لسياسة استحواذ البوير على اراضيهم.

7 – توصي الدراسة بضرورة توظيف التجربة الاصلاحية التي تبناها السير جورج كراي حاكم مستعمرة الكاب الذي يعد في مصاف الحكام المصلحين لحل مشاكل الحدود في مشروعه والمتمثل باستثمار جهود السكان المحليين نحو مشاريع مهنية بدل العنف والانتفاع من خبراتهم في شتى المجالات ، سيما الانتاج الزراعي بالرغم من عدم مواصلة المشروع ممن تعاقبوا على الحكم في جنوب افريقيا .

[1] عندما رفض الزولو انذار السير بارتر فرير الى ارض الزولو بحل جميع تنظيماتهم العسكرية ، وادى انزال الزولو هزيمة بالجيش البريطاني وهز معنوياتهم الى ايقاف محاولات اقامة الاتحاد الفدرالي في معركة ايزانده لوانا . للمزيد ينظر :
تاريخ جنوب افريقيا ، المصدر السابق ، ص ص . 125 – 138.

مصادر الدراسة

اولا : الوثائق المنشورة

Select Constitutional Documents I Illustrating South African History 1795 – 1910 , G.W., (ed) , London Press , (London , 1918)1Eybers ,

ثانيا : الرسائل الجامعية :

1- سياسة التمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا 1652 – 1910 ، عقيل جعاز شمخي السهلاني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2009 .
2- سياسة بريطانيا تجاه الهند (1764 – 1858) ، رنا عبد الجبار الزهيري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2011 .
3- الملكة فكتوريا واثرها في السياسة البريطانية (1837 – 1901) ، حيدر صبري شاكر الخاقاني ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2009 .
4- مؤتمر فيّنا 1814- 1815 ، زيدان حسان حاوي الشويلي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ،جامعة بغداد ، 2004.

ثانيا : المصادر العربية والمعربة :

1- اوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرون 1789 – 1950 ، أ. ج . جرانت ، هارولد تمبرلي ، ترجمة محمد علي ابو درة ولويس اسكندر ، ج 1 ، (القاهرة ، 1967).
2 - تاريخ افريقيا العام ، ج . ف . آدي آجاي ، ج 6 ، (بيروت ، 1996) .
3- تاريخ جنوب افريقيا ، جديون ، س .وير ، ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ ، 1986) .

رابعا : المصادر الاجنبية :

1- A history of Southern Africa , Eric A Walker, (London , 1941) .
2- A History of South Africa From the Earliest Days to Union , Scually . W .C ., and William Charles , University of California Press , (California , 1915) .
3- A history of South Africa , Dorothea Fairridge , Oxford University Press, (Oxford , 1918) .
4- An Introduction to the History South Africa, Sarah Gertrude Milling , (London, 1941) .
5- A short History of South Africa , John Selby , (London , 1973) .
6- Heroes of Discovery in South Africa , N. Bell , (London,1899) .
7- History of south Africa under the administration of the Dutch East India company , 1652 to 1797 , G . M . Theal , (Michigan , 1897) .
8- History of the Emigrant Boer in South Africa or the Wanderings and wares of the Emigrant farmers from their Learning cap colony to the A acknowledgment of their Independence by Great Britain , George Theal, London press , (Toronto , N.D) .
9- Portuguese Africa , James Duffy , (London,1959) .

10- South Africa an Historical Introduction , Freda Troup , (London, 1972) .
11- South Africa A study in Colonial Administration and Development, Worsfold Basil Williams, (New york , 1895) .
12- The Cambridge history of Africa , Roland Oliver Anthony , vol . 2 , (Cambridge , 1986) .
13- The Bantu : Past and Present : An Ethnographical and historical Study of the Native Races of South Africa , S . M . Molema , (Edinburgh , 1920) .
14- The House of Phalo , A History of the Xhosa People in the day their Independence , New history of South Africa Series , Piers Jeffry , (Raven, 2003) .
15- Vasco Da Gama and his Successors, Kingsley Gay land , London Methuen Press,(California ,1910) .
16- The New Encyclopedia Britannica , Vol . 2 , 8 , 9 , 15 th . ed ., (Chicago , 1988) .

خامسا : الموسوعات والقواميس :

- 1 The New Encyclopedia Britannica , Vol . 2 , 8 , 9 , 15 th . ed ., (Chicago , 1988) .

سادسا : شبكة المعلومات الدولية :

2WWW. Wikipedia . Org - تاريخ الدخول في الموقع 2017 /12/15